جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة

prix littéraires

premios literarios

naji naaman *'s*

literary prizes

أحمد أبو سليم

آنستُ دارًا

دار نعمان للثقافة

الإهداء:

إلى عبد الله،
يوم وُلد،
ويوم مات،
ويوم يُبعث حيًّا

أحمد أبو سليم

شاعرٌ أردنِّيّ، من مواليد عام ١٩٦٥. حائزٌ الماجِسْتِر في الهندسة الميكانيكيَّة من جامعة الصَّداقة بين الشُّعوب (مُسْكو، ١٩٩٢)؛ عضو رابطة الكتَّاب الأردنِّيِّين، واتِّحاد كتَّاب الإنترنِت العرب، وتجمُّع الأدباء والكتَّاب الفلسطينيِّين؛ نالَ أحدى جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة (جائزة الإبداع، ٢٠٠٧)، حصلَ على لقب "شاعر القضيَّة" في برنامج أمير الشُّعراء الذي بُثَّ عبر قناة أبو ظبي عامَ ٢٠٠٨؛ شاركَ في أُمسِيات شعريَّةٍ في عددٍ من العواصم العربيَّة؛ إصداراتُه: "دم غريب" (المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، ٢٠٠٥، شِعر)؛ "مذكّرات فارس في زمن السُّقوط" (مؤسَّسة عيبال للدِّراسات والنَّشر، قبرص، ٢٠٠٦، شِعر)؛ "البوم على بقايا سدوم" (دار نعمان للثَّقافة، جونية، لبنان، ٢٠٠٨، شِعر).

لَذَّة قراءةُ أحمد أبو سليم من جديد، وإفادةٌ قراءتُه. نَعَم، بعد "البوم على بقايا سدوم" الصَّادرِ عامَ ٢٠٠٨ في سلسلتنا الأدبيَّة المجَّانيَّة، نعودُ فنكتشفُ أنَّ قراءَة هذا الشَّاعرِ لذيذةٌ ومُفيدة. فَلْنَقرأْ معًا، ومجدَّدًا، شاعرَنا الأردنِّيَّ في سلسلة "الثَّقافة بالمَجَّان" بالذَّات، ولْيَعِشْ شعارُنا القائل: "الثَّقافةُ لا تُشرى ولا تُباع".

ناجي نعمان

Ahmad Abu Salim

Jordanian poet, born in 1965, originally from Palestine. With several published books, he is laureate of Naji Naaman's Literary Prize 2007 (Creativity Prize).

Poète jordanien, né en 1965, originaire de la Palestine. A son actif s'inscrivent plusieurs livres; lauréat du Prix Littéraire Naji Naaman 2007 (Prix de Créativité).

عبد الله

نُبَلِّلُ خُبزَنا ماءً
فَيَسرِقُنا لُهاثُ السَّيلِ مِن سَفَرٍ
إلى حَجَرٍ
يَعُضُّ الكَفَّ مِفتاحٌ
سَقاهُ الكَفُّ في الطُّوفانْ
عَلى قَلَقٍ
كَأَنَّ الماءَ أَوتادٌ تُسَمِّرُنا
عُراةً نَعبُرُ الميزانَ أَفكارًا
فَيَكشِفُ سَوءَ عَورَتِنا
وَعَبدُ اللهِ كانَ يُعَتِّقُ الأَحلامَ في الفَخَّارِ
يَلبَسُ تاجَهُ الورَقيَّ ذا القَرنينِ
يَمشي حافيَ القَدَمينِ
عَبدُ اللهِ كانَ أَبي
يُرَمِّمُ جُرحَهُ بالطِّينِ
يَرفَعُ سَدَّهُ زَبَدًا
سِتارًا في غُبارِ الضَّوءِ
بَينَ الرُّوحِ وَالشَّهَواتِ
مِن ماءٍ
يَقُدُّ القَلبَ

مِن ماءٍ
يُخيْطُ دِثارَنا الأَزَليَّ
مِن ماءٍ
يُهَيِّءُ سفرَ سيرَتِنا:
وُلِدنا مِثلَ جَذرِ الشَّوكِ، والقُبّارِ*
بَينَ الصَّخرِ في الوُديانْ
بِدايَةُ رَقصِنا حَجَرٌ
رَماهُ بِدائهِ حَجَلٌ
نُبوءَةُ كاهنٍ عارٍ بِصَومَعَةٍ
سَقَتنا الشَّمسُ والأَحزانْ
فُرادى نَعبُرُ البُركانَ
دونَ سَنابلٍ كانَتْ
تُزَيِّنُ قَبلَ ميقاتٍ
بَياضَ أَكُفِّنا اليُمنى
وَعَبدُ اللهِ صارَ وُضوحَ هَمزَتِنا
يُعَلِّقُ عُضوَهُ الباقي عَلى عَمودِ خَيمَتِنا
مِسَلَّةَ آخرِ الفُرسانْ
رَمَتنا الشَّمسُ بالنِسيانْ
سَيَأتي في زَمانِ السُّحتِ حُرّاسٌ

* القُبّار: عشبة متوسِّطيَّة تنمو في الأماكن المهجورة بين الصُّخور، تذبلُ زهرتُها بعد قطافها مباشرةً، تُستعملُ لعلاج العديد من الأمراض، واستعمالُها بشكل مباشر يؤدِّي إلى حروق في الجلد.

بأضراسٍ مِنَ الفولاذِ توجعُنا
وَتُقفرُ في صَلاةِ الخَوفِ والنَّجوى مَدامِعُنا
وَنأكُلُ خُبزَنا طَلَعًا
وَنَلبَسُ ثوبَنا دِرعًا
تَعَلَّمنا سُطوعَ النُّورِ في البَلّورِ
قَبلَ سُطوعِهِ في الرُّوحِ
أَحرَقنا مَراكِبَنا بِلا ماءٍ
وَقوَّضنا خِيامَ البَدوِ في المَنفى
لِنَنحَتَ في خَواصِرِ صَخرَةٍ دورًا
فَأُهلِكنا بِبُركانٍ ، وَسَجّانٍ
بِريحٍ صَرصَرٍ أُخرى...
بِداءِ الصَّمتِ، وَالأَشعارِ
قايَضنا أَصابِعَنا بِخوصِ الماءِ
بايَعنا نِهايَةَ غُربَةِ الغُرباءِ
تَحتَ شُجَيرَةٍ ذِئبًا
وَزَيَّفنا يَدًا للهِ فَوقَ أَكُفِّنا زُورًا
كَأَنَّ الرَّملَ في الصَّحراءِ عَلَّمَنا
خِيانَةَ عِشقِنا جَهرًا!
لِماذا يُنصَبُ الشُّهَداءُ في الطُّرُقاتِ كَالأوثانْ؟
لِماذا يَرتَدي السَجّانُ حينَ يَهُمُّ بالأُنثى
ثِيابَ الحَربِ
وَالأُنثى تُفَتِّشُ في ثِيابِ الحَربِ عَن سَجّانْ؟

وَكَيفَ تُقَطَّعُ الأَشجارُ كَي تُمسي
سُيوفًا في زَمانِ السِّلمِ لِلعُميانْ؟
وَعَبدُ اللهِ كَيفَ يَجِفُّ مَنسيًا عَلى حَجَرٍ
وَتَأكُلُهُ
ذِئابُ اللَّيلِ
والجِرذانُ
والغِربانْ؟!

أحلام بلا قيمة فائضة

حُلُمٌ
الصَّليبُ المُهَيَّأُ هذا الشِّتاءَ
لِمَوتِ النَّبيّ صَغيرٌ كَثَقبٍ بِبابٍ
لِذا صَلَبوهُ عَلى دَكَّةِ البُدَلاءْ
حُلُمٌ
الكَلامُ المُدَجَّجُ بالحُبِّ وَالمَوتِ
صارَ يُعَلَّبُ كَي يُشتَرى وَيُباعَ
عَلى الطُّرُقاتِ بِختمٍ
يُحَدِّدُ لِلشُّعَراءِ صَلاحيَّةَ الإنتِهاءْ
حُلُمٌ
الَّذينَ يَمُرّونَ مِن سَمِّ
إبرَةِ خَيّاطَةٍ لا تَرى
الَّذينَ رَسَوا بالسَّفينَةِ فَوقَ الحَصى
عُلِّبوا في المَدينَةِ دَهرًا بِمِلحٍ وَماءْ
حُلُمٌ
في المَسافَةِ بَينَ الأَراجيحِ وَالدَّرسِ
بَعضُ المَشانِقِ مَرفوعَةٌ في الهَواءِ احتِياطًا
وَقَد زَيَّنَتها أَيادي الصِّغارِ
بِأَجراسِ عيدِ المَسيحِ

وَطفلٍ تَدَلّى بِثَوبِ الرَّسولِ
رَسولاً إلى المَوتِ يَغسِلُ ضَوءَ الصَّباحِ
يُعِدُّ الهَدايا الَّتي سَتُوَزَّعُ في العيدِ
بَعدَ الرِّثاءْ
حُلُمٌ
عَلَّموني إذا ما فَقَدتُ أَصابِعَ كَفّيَّ
كَيفَ أُصَفِّقُ بالقَدَمينِ احتِياطًا
لِكَثرَةِ ما سَأُصَفِّقُ للذّاهِبينَ، ولِلقادِمينَ
وَقالوا: فُنونُ البَقاءِ عَلى الأَرضِ
مَعْ كَثرَةِ المَوتِ صارَت دَهاءْ
حُلُمٌ
كانَ لي قَبلَ هذا الرَّحيلِ عَلى الأَرضِ بَيتٌ
يُلَملِمُني كُلَّما شَرَّدَتني الشَّوارِعُ
تَحتَ الشِّتاءْ
ثُمَّ صِرتُ الغَريبَ أَدورُ وَحيدًا عَلى الذِّكرَياتِ
أُعَلِّقُ مِفتاحَ بَيتي البَعيدِ عَلى حائِطٍ
لَم يَزَلْ واقِفًا بَعدَ حَربٍ
وَبَعدَ اشتِباهٍ بِحَربٍ
وَبَعدَ اشتِباهٍ بِسِلمٍ
هُنا في العَراءْ
حُلُمٌ
لا يُفارِقُ لَيلي

أُحاولُ أَن أَستَعيدَ البِدايَةَ
كَي أَعرِفَ الوَجهَ في النَّومِ
أَذكُرُ أَنّي رَأَيتُ التَّفاصيلَ قَبلَ المَنامِ
وَلَكنَّني قَد نَسِيتُ مَتى
كَيفَ كانَتْ؟
وَأَينَ؟
وَمَن قَتَلَ المُستَجيرَ بِنارٍ عَلى مَذبَحٍ مَرَّتَينِ؟
أَنا؟!
كُلُّ شَيءٍ ضَبابٌ
وَلَولا المَرايا الَّتي عَكَسَتْ لَونَ وَجهي قَتيلاً
لَكُنتُ اعتَرَفتُ بِأَنّي البَديلُ أَمامَ القَضاءْ
حُلُمٌ
عَذَّبَ القَلبَ نايٌ بَكى
ذاتَ يَومٍ رَحيلَ الهَوى
قُلتُ خُذني فإنّي وَحيدْ
قالَ يا وَعدُ حملي ثَقيلْ
قُلتُ أَمشي فإنّي عَنيدْ
قالَ يا وَعدُ دَربي طَويلْ
وَافتَرَقنا عَلى وَعدٍ أَن نَلتَقي
في أَساطيرِ عِشقٍ تُخَلِّدُنا غُرَباءْ
حُلُمٌ
لا تُؤَجَّلُ أَحلامُ هذا الصَّباحِ لِهذا المَساءِ

فَقَدْ يَسبِقُ الآخرونَ المَساءَ
وَتَبقى وَحيدًا
وَتُصبِحُ أَنتَ الحَزينَ
تُناجي النَّبيَّ
عَلى دَكَّةِ البُدَلاءْ

مزمور لداود

لِداودَ مَزمورُ مَوتٍ
إمامُ الغِناءِ
وَهُدنَةُ جُرحٍ
لِنَرتِقَ ما قَد أَضاءَ الحَليبُ بِأَجسادِنا
مُنذُ فَتحٍ
لِنَغسِلَ أَسماءَنا مِن غُبارِ الحَديدِ
وَأَضغاثِ رُمحٍ
وَعُريِ الزُّجاجِ الَّذي كانَ يَفضَحُ فينا
حُدودَ الجَسَدْ
لِداودَ ما كانَ هذا البَلَدْ
فَكيفَ أَضاعَت بَقايا المَدينَةِ تَحتَ الرُّكامِ:
رُفاتَ العِظامِ
وَأَشلاءَنا
وَالفِطامَ
وَما تَرَكَ الذَّاهِبونَ عَلى القَمحِ:
ميقاتَنا
وَالمَدينَةَ يَثرِبَ
وَالغارَ
والدّارَ

وَالعادِياتِ
وَجُرحًا يُجَلِّلُ هذا الأَبَدْ؟
لِداودَ ما كانَ هذا البَلَدْ
كُراتُ الدِّماءِ الَّتي كَرَّسَت مُنذُ سِتّينَ حَربًا
بَياضَ دِمائي
وَسِتّينَ مَوتًا
غَداةَ انكسارِ الظِّلالِ عَلى حِكمَةٍ أَنكَرَتني
سَنابِلُ كَفّي الَّتي أُحرِقَت في الخَفاءِ
شَظايا المَرايا الَّتي قَسَّمَت قَوسَ وَجهي زَوايا
وَأَحمَدُ – بَعضُ انكِسارِ الهَديلِ –
قَتيلٌ إِذا الشَّمسُ مالَت يَميلُ عَليَّ
نَزيفًا يُلاحِقُ أَشتالَ زَهرِ البَنَفسَجِ في جَسَدي
كُلُّها أَنكَرَتني!
أَنا لَستُ أَحمَدَ
لَستُ التُّرابَ الَّذي كانَ يَشرَبُ في الصَّمتِ
دَمعَ الرِّجالِ وَراءَ الجَنازَةِ
لَستُ الخَرابَ الَّذي كانَ يُزهِرُ في المَوتِ
بَعدَ انفِجارِ القِيامَةِ
لَستُ المَسيحَ عَلى سُلَّمٍ مِن حَديدِ الصَّليبِ
لِأَصعَدَ نَحوَ التِقاءِ المَكانِ بِجَذرِ الزَّمانِ
وَأَغسِلَ جُرحي مِنَ الرِّجسِ وَاليَأسِ
لَستُ أَنا ذلِكَ المُستَعارَ مِنَ الظِلِّ حينًا

وَحينًا مِنَ الشَّمسِ
كَيفَ إذاً أَلمَسُ اليَومَ جُرحي بِكَفٍّ كَكَفّي؟
وَكيفَ إذاً لا أُصَدِّقُ أَنّي
أَضَعتُ الحَقيقَةَ في سَيلِ نَزفي؟
وَكيفَ أُصَدِّقُ تاريخَ جُرحي الَّذي
كَتَبَتهُ يَداكَ بِدَمعي عَلى عَظمِ ضِرسي؟
وَكيفَ أَرُدُّ الحَكايا الَّتي راوَدَت شاهِدَينِ
عَن امرَأَةٍ يَومَ زَحفي؟
وَكيفَ أُصَدِّقُ أَنَّ المَدينَةَ يَثرِبَ
قَد قايَضَتْ بالرَّغيفِ جَدائِلَها بَعدَ سَيفي؟
وَكيفَ أُصَدِّقُ نوحًا وَطوفانَ ماءٍ
وَلوطًا، وَموسى، وَيوسُفَ؟
كَيفَ أُصَدِّقُ أَنَّ البِلادَ الَّتي لَم تَبِعني زَبَدْ؟
وَأَنَّ لِداودَ هذا البَلَدْ؟
وَما كانَ يَومًا عَلامَةَ عِتقي
وما كانَت الأَرضُ غَيرَ ابتِهالٍ
يُؤَلِّفُ بَينَ السَّماءِ وَبَيني
وَما كُنتُ إلاّ هَديلَ الحَمامِ عَلى ساعِدَينِ
وَرَجعَ الكَلامِ عَلى ضِفَّتَينِ
وَحُزنَ المُحارِبِ بَينَ اشتِباكَينِ
وَقعَ التَّرَدُّدِ
هَمسَ التَّشَهُّدِ

عِريَ الفَريسَةِ بَينَ صَلاتينِ
كَيفَ إذاً سَأُصَدِّقُ أَنَّ المَسافَةَ
ما بَينَ صَمتي وَصَمتي بِلادٌ بِقَرنينِ؟
أَنَّ بِوُسعِيَ أَن أَستَميحَ الضَّحيَّةَ عُذري
وَأُعلِنَ حُزنَ الظِّباءِ
وَأَشرَبَ نَخبَ السَّبيَّةِ أُمّي بِكَفيَّ
دونَ الرُّجوعِ إلى ضِلعِ آدَمَ يَومًا
وَدِرعٍ لِداودَ مِن زَرَدٍ يَلبَسُ العَظمَ مِثلَ اللُّحاءِ؟
وَسِبطٍ مَضى بَينَ مَوتٍ وَمَوتٍ
وَفي كَفِّهِ حُزمَةٌ مِن دِمائي ؟
.....
.....
.....
عُواءٌ
وَلَم يَبقَ غَيرُ الثُّغاءِ
وَعُكّازُ داودَ إرثٌ
يَدُقُّ المَدينَةَ بابًا فَبابًا
فَلا تَستَجيبُ سِوى لَعنَةٍ من سُحاقِ دِمائي
مَعَ الرُّوحِ وَقفِ الجَسَدْ
وَهذا البَلَدْ!
لِداودَ ما كانَ هذا البَلَدْ!
لِداودَ ما كانَ هذا البَلَدْ!

كَأَيِّ غُراب

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]

كَأَيِّ غُرابِ
تَرَكتَ الذِّئابَ وَراءَكَ تَنهَشُ لَحمَ الغُرابِ
لَبِستَ السَّوادَ عَلى جُثَّةٍ أَورَقَتْ بِالذُّبابِ
وَأَشرَعتَ عَورَتَكَ المُستَباحَةَ
كَي لا تُواريَ سَوءَةَ أُنثاكَ
في بابِ غَزَّةَ يَومَ استَعاذَت
مِنَ الرَّقصِ حَولَ البَنادِقِ حَجْلاً
وَغارِ التَّمائِمِ
وَالأُمنِياتِ
وَسِفْرِ الضَّحايا
بِنارِ التُّرابْ
كَأَيِّ غُرابٍ
كَأَيِّ غُرابْ
كَأَيِّ غُرابٍ
تَرَكتَ المَدينَةَ تَحرِقُ سِرًّا ضُلوعَ السَّفينَةِ
والأُغنِياتِ

وَتَنسجُ ثَوبًا مِنَ الرَّملِ وَالشَّوكِ
وَالذِّكرَياتِ
لِتَستُرَ في العُرسِ – حَفلِ البُكاءِ – حِدادَ الدِّماءِ
وَغِبتَ
نَسيتَ الجِهاتِ
نَسيتَ الصَّلاةَ إلى مَنسَكِ الحُزنِ
أَوَّلِ مَوتٍ
وَأَوَّلِ دَينٍ
وَأَوَّلِ سِجنٍ
وَأَوَّلِ غَزَّةَ يَومَ استَراحَتْ
عَلى بابِكَ الحَجَريِّ وَناحَتْ
كَآثارِ مِلحٍ تَكَلَّسَ بَينَ
مَسامِ المَسامير فَوقَ الصَّليبِ
سَتُشعِلُ في الصَّمتِ عودَ الثِّقابِ
مِنَ الرُّوحِ وَهنًا لِميقاتِ وَهنٍ
وَتَرفَعُ في القَحطِ أَكفانَ قَشٍّ
فَتَحجِبُ لَونَ السَّماءِ وَتَبكي
وَتَشرَبُ ماءً يَفيضُ أُجاجًا
مِنَ البُرتُقالِ الحَزينِ وَتَبكي
وتطفئُ نارًا تَمورُ نَشيجًا
"بِآخِ" الحَنينِ الدَّفينِ وَتَبكي
وَتَصرُخُ حَتّى إذا استَيأَسَتْ في الزَّفيرِ الأَخيرِ

وَظَنَّتْ بِأَوَّلِ ريحِ الظُّنونِ الظُّنونَ
وَهَزَّتْ إليها بآخِرِ أَغصانِها البَشَريَّةِ
غامَتْ
وَحُمتَ بَعيدًا عَلى تَلَّةٍ في الغِيابِ
وَنُحتَ
كَأَيِّ غُرابٍ
كَأَيِّ غُرابْ
كَأَيِّ غُرابٍ
تَرَكتَ المَدينَةَ تَجتَرُّ إرثًا لَها في الشِّعابِ
وَلَم يَبقَ مِنها سِوى حائِطٍ واقِفٍ في الخَرابِ
وَجَيشِ القُرادِ
وَوَشمٍ عَتيقٍ
عَلى شاهِدٍ شاهِدٍ في الكِتابِ
وَجَمرِ السَّفافيدِ
كَم أُتخِمَ المَوتُ مِن لَحمِنا
وَاستَضاءَتْ بِزَيتِ الدَّمِ النَّبَويِّ المُقَطَّرِ مِنّا
جُيوشُ القَبائِلِ
وَالمومِساتُ
وَكُلُّ غَريبٍ
وَكُلُّ بَعيدٍ
وَكُلُّ قَريبٍ
وَكُلُّ الطُّغاةِ

وَكُلُّ الزُّناةِ
وَكُلُّ الشُّهودِ
وَكُلُّ القِفارِ
وَكُلُّ البِحارِ
وَكُلُّ الذِّئابِ
وَكُلُّ الكِلابِ
وَكُلُّ جَناحٍ يَرِفُّ عَلى جُثَّةٍ يَبِسَتْ
في العَراءِ
لأَيِّ غُرابٍ
لأَيِّ غُرابْ!
كَأَيِّ غُرابٍ
تَرَكتَ الذِّئابَ وَراءَكَ تَنهَشُ في الجُرفِ جِسمي
وَلَم تَخلَعِ الأَرضُ أَشجارَها بَعدُ
في لُجَّةِ الشَّوقِ وَالإحتِراقِ الطَّويلِ لِلَحمي
وَما كُنتُ إلا رَسولاً يَموتُ بِلا مَوعِدٍ
في الصَّهيلِ
دَليلاً لِكُلِّ شَهيدٍ يَنامُ عَلى دَكَّةِ الأَرضِ
دونَ دِثارٍ
وَدونَ اعتِذارٍ
لأَيِّ غُرابٍ
لأَيِّ غُرابْ

عشقٌ مَشاع

مِثلَ الفَريسَةِ حينَ تَنسى عِشقَها
أَنسى رُؤايَ وَأَحتَمي
بِالرُّوحِ مِن جوعِ الذِّئابِ
إلى دِماءِ العابِرينَ عَلى وَتَرْ
وَحدي وَوَحدَكَ وَالمَسافَةُ بَينَنا
رَقصُ الذِّئابِ عَلى صَدى وَقعِ المَطَرْ
زَوجانِ في مَعنى الهَزيمَةِ وَالهَزيمَةِ
رُبَّما كُنّا ظِباءً قَبلَ روحٍ
حينَ فارَ الماءُ فينا
أَو دُعاءً لَم يَجِدْ في الصَّحوِ إلاّ خَيبَةً
كانَ الطَّريقُ مُهاجِرًا
لكنَّ نوحًا كانَ أَصغَرَ
كانَ يَغزِلُ مِن فُتاتِ الخُبزِ رُوحًا لِلحَمامةِ
كانَ أَصغَرَ
كانَ يَنسِجُ مِن خُيوطِ الماءِ عُرسًا لِلقِيامَةِ
كانَ أَصغَرَ
كانَ يُبحِرُ في رَمادِ الخَوفِ أَكثَرَ
حينَ كانَ الماءُ قَرحًا
وَالذُّبابُ عَلى السَّفينَةِ كانَ يَسكُنُهُ الضَّجَرْ

زَوجانِ في مَعنى الهَزيمَةِ، وَالهَزيمَةِ
كُلُّ شَيءٍ زائِدٍ – مِثلي وَمِثلُكَ – بائِدٌ
أُنثى تُراقِصُ ذِئبَها
ماءٌ يُغَسِّلُهُ الحَصى
مِلحٌ عَلى جُرحٍ غَفا
ريحٌ تُعَشِّشُ في الخُطى
وَمَقاعِدٌ في الظِلِّ يَشرَبُها الصَّدى
كَيفَ الصُّعودُ وَأَنتَ مِثلي
لا أَنا أَنتَ الَّذي ما بَينَنا
أَو أَنتَ غَيري أَو أَنا...؟
أَثقَلَتني!
كَيفَ الصُّمودُ وَأَنتَ غَيري
لا أَنا أَنتَ الَّذي ما بَينَنا
أَو أَنتَ مِثلي أَو أَنا...؟
أَدمَيتَني!
ضاقَت بِنا أَكتافُنا
وَالبَحرُ قَبرُكَ
مِن لُهاثِكَ خَلفَ مَوتِكَ
مِن بُكائِكَ حينَ تَصعَدُ
في المَساءاتِ الحَزينَةِ حُلمَ حَربِكَ حافِيًا
حَتّى ارتِعاشِكَ في ارتِحالي كُلَّما
أَوغَلتُ أَكثَرَ في المَدينَةِ عاصِيًا

المَوتُ فيكَ
وَكُلُّ شَيءٍ في السَّفينَةِ – أَو عَليها – قابِلٌ للاختِصارْ
زَوجانِ في مَعنى الهَزيمَةِ، والهَزيمَةِ
كُلُّ شَيءٍ ناقِصٍ – مِثلي وَمِثلُكَ – فائِضٌ
أَوَكُلَّما آخيتُ ريحًا
شَيَّعَتني فَوقَ أَكتافِ الجُنودِ الذِّكرَياتُ
وَعَلَّقَت لي في الفَراغِ مَشانِقًا خَضراءَ
مِن نُسغِ الشَّجَرْ؟
المَوتُ فيكَ
وَكُلُّ شَيءٍ في السَّفينَةِ – أَو عَليها – قابِلٌ لِلانكِسارْ
أَوَكُلَّما أَلقَيتُ رُوحًا لِلعَراءِ
تَلَقَّفَتها كَفُّ موسى في السَّماءِ وَأَسلَمَتني لِلقَدَرْ؟
المَوتُ فيكَ
وَكُلُّ شَيءٍ في السَّفينَةِ – أَو عَليها – قابِلٌ لِلانتِظارْ
المَوتُ فيكَ
عَلى فِراشِكَ
واشتِعالِكَ في انطِفائي، وَاشتِعالي
وَالتِحامِكَ في انفِصالي، وَالتِحامي
وَارتِفاعِكَ في انكِساري، وارتِفاعي
وَارتِحالِكَ في بَقائي
وَارتِحالي...
عارِيًا مِثلَ المَدينَةِ

مِن تَضاريسِ الهَزيمَةِ
لابِساً ثَوبَ السَّفينَةِ
عابِثًا...
كَالمَوتِ فينا... لاهِيًا
كَالمَوتِ فينا...
كالذِّئابِ تَعَمَّدَت – حينَ استَوَيتُ عَلى جِراحِكَ –
مِن دَمي
دَمِكَ المُسافِرِ في السَّفَرْ
دَمِكَ المُسافِرِ وَالسَّفَرْ:
حَجَرٌ
حَجَرْ

ملح للأنثى...قمرٌ للماء

إلى هالة الجميلة: شمسُ الشِّتاء

إشتَقتُ إليكِ فَأَوجَعَني
قَمَرٌ يَتَناسَلُ مِن قَمَرٍ
قَصفَةُ سَروٍ
عِريُ السكّينِ
شَظايا اللَّيلِ
لُهاثُ الخَيلِ
وَأَغرابٌ مِثلي كَالغَيمِ عَلى سَفَرٍ
مِثلي كَبَقايا هَذَيانٍ
ما بَينَ المَوتِ وَسيلِ الصَّمتِ وَبَينَ جِدارْ
اشتَقتُ إليكِ فَأَسلَمَني
جُرحي لِلرَّملِ
أُسافِرُ في عَطَشي نَهرينِ عَلى جَسَدٍ
لا يَلتَقيانِ بِلا زَبَدٍ
مِثلَ النَّهدينِ
وَخِدرِ الكَفِّ عَلى وَتَرٍ
مِثلي أَتَخَفَّفُ مِن مَطَرٍ
تَشرَبُني الرُّوحُ وَما هَيَّأتُ سِوى بَلَدٍ
لِرِثاءِ اللَّيلَكِ خُبزِ اللَّيلِ

وَكَعكَةِ أَعيادِ المَوتى
مَن يُشرِعُ في الصَّمتِ عِتابًا
لِجُنوني حينَ يُعانِقُ لَسعَ النّارِ عَلى نَهدٍ؟
مَن يُشرِعُ في المَوتِ كِتابًا
كَي أَذكُرَ حينَ يَفورُ الماءُ عَلى وَتَدٍ
جُرحي وَرَتابَةَ أَحزاني؟
مَن يُشرِعُ في اللَّيلِ ضَبابًا
مِلحًا أُنثى، قَمَرًا ماءً، بَلَدًا زَرَدًا
كَي أَرحَلَ عَنّي مَسكونًا
– لَحظَةَ مَوتي بَينَ النَّهدينِ –
بِوَجهِ امرَأَةٍ لا أَعرِفُ إِن كانَ لأُنثى
أَم لِلنَّخلِ أَمامَ الدّارْ
قَوسٌ في الكَأسِ
نِثارُ الحُبِّ
وُجوهٌ تَعبُرُ في رُسغي دَقّاتِ السّاعَةِ أَشباحًا
وَامرَأَةٌ تُولَدُ في الفَخّارِ
وَتَرشَحُ مِن جُرحٍ لِلنّارِ
وَتُبحِرُ في دَفَقاتِ الرّوحِ عَلى قَلَقٍ
أَتَقاطَعُ مَعَ جَسَدي نُذُرًا
قَد أَنسى الرُّمحَ بِلا نَصلٍ في خاصِرَتي
كَي يُورِقَ دَمعي وَشَظايا سَكَنَتْ لَحمي
يَختَلِطُ السّائِلُ وَالرّاوي بِعَصا أَعمى

يَحجِبُني الغَيبُ وَأَزرارٌ
يا امرَأَتي الحُلوَةَ مِثلَ سَحابٍ بَلَّلَني
وَأَنا أَمتَدُّ بِلا ظِلٍّ يَحجبُ عُريي
يا امرَأَتي الحُلوَةَ كَالتُفّاحِ
تَنامُ عَلى كَفّي دَينًا
وَأَنا غَيمٌ
وَحدي في السّاعَةِ مَنسيٌّ
أُشرِعُ قَلبًا مِن ماءِ النَّهرِ
أُحارِبُ بالكَفِّ المَفتوحَةِ سَيفَ دُخانٍ
يَقتُلُني صَوتُ المَصلوبِ عَلى جَرَسٍ
يَبكي في السّاحَةِ أَشعارًا
ضِدَّ الأَحزانِ إذا صَمَتَتْ
ضِدَّ الأَكفانِ إذا نَطَقَتْ
ضِدَّ المِرآةِ وَصورَتِها
ضِدَّ الصَّحراءِ وَعَتمَتِها
ضِدَّ الأَضواءِ وَزينَتِها
ضِدَّ الغُربَةِ
ضِدَّ اللُّقيا
ضِدَّ الرُّؤيا
ضِدَّ الضِدَّينِ
وَأَسماءٍ لا أَعرِفُها
يا امرَأَتي الحُلوَةَ كَالأَمطارِ عَلى جَسَدٍ عارٍ

اشتَقتُ إليكِ فَأَوجَعَني
أَنّي جُرحٌ لا يُبصِرُ غَيبًا إنْ غابَتْ
عَنّي عَيناكِ
وَأَوجَعَني
أَنّي عَلَّقتُ عَلى قَمَرٍ وَجهي
خَشيَةَ أَن أَنسى لَونَ الصَّوتِ
وَشَكلَ المَوتِ
وَحينَ أَفَقتُ وَجَدتُ اللَّيلَ وَأَسراري
في غُرفَةِ نَومِكِ قُمصانًا
تَتَدَلّى فَوقي مِن مِسمارْ

وجهٌ... ضباب

– قَدَري ضَبابٌ
كُلَّما لامَستُ في أُنثى السَّحابَةَ أَمطَرَتْ
وَتَكَسَّرَتْ
وَطَفَقتُ أَبحَثُ خَلفَ وَجهِ فَراشَةٍ ضَلَّتْ
عَنِ امرَأَةٍ
تَصُبُّ النّارَ في حَجَرٍ
وَتَسكُنُ بَينَ سُنبُلَتينِ عارِيَةً
وَتَحمِلُ عِبءَ أَحزاني
وَسِرَّ المَوتِ وَالكَلِماتِ
– أَكُلَّما فَتَّشتُ عَنكَ مواجِعي
فَرَّت إِلى أُرجوحَةٍ لِلعَنكَبوت أَصابِعي
في مِقبَضِ البابِ السَّرابِ تَعَلَّقَتْ دَهرًا؟
عَلى عَجَلٍ
بِلَونِ فَراشَةٍ بَيضاءَ
مَرَّ الحُبُّ فَوقَ الزَّهرِ مَأخوذًا
يَشُقُّ النّارَ
كُن يا حُبُّ مِفتاحًا
غَريبًا كانَ يَنفُضُ تَحتَ ضَوءِ الشَّمسِ أَغطِيَتي
غَريبًا صارَ مَسكونًا بِجوعِ النَّهرِ

كُن يا حُبُّ مِفتاحًا
نَسيتُ الوَجهَ لكنّي
أَعيشُ الحُبَّ لا أَدري مَتى يَأتي
وَلا أَدري
أَيَذكُرُ مِن تَضاريسي تَفاصيلاً؟
أَيَذكُرُ في الغِيابِ اسمي؟
أَيَذكُرُ لَونَ مِنديلي؟
أَيَذكُرُ صَوتيَ المَحزونَ
طَعمَ الصَّمتِ
شَكلَ البابِ
دِفءَ عَباءَتي في اللَّيلِ
شُرفَةَ غُرفَتي؟
هَيهاتْ!
– أُنثى تَفيضُ كَدَمعَةٍ
قَبلَ النُّبوءَةِ بالخَرابِ
أَكُلَّما بايَعتُ وَجهًا لِلسَّحابِ
تَناوَبَتني في الصَّلاةِ وَساوِسي
وَتَساءَلَت فيَّ الهَواجِسُ
كَيفَ يَترِكُ لَذَّةَ النَّصرِ الرُّماةُ عَلى الجِبالِ
وَيَترِكونا في العَراءِ فَريسَةً لِلذِّكرَياتْ؟
–كُن غائِبًا
أُنثى تُجَمِّلُ عِشقَها

فَأَنا السُّؤالُ بِلا عِتابِ
أَستَبيحُ مَلامِحي بَعدَ الغِيابِ وَحيدَةً
خَلفَ المَرايا
"هَيتَ لَكْ"
شَفَتانِ بابٌ في العَراءِ
وَزَهوُ أُنثى
كُلَّما تَنأى تُلَملِمُ خَطوَكَ المَتروكَ
خَلفَكَ لِلصَّدى
كُن كُلَّ ما كانَ الغَريبُ:
مُهادِنًا، أَو عاشِقًا
أَو عابِرًا يَهوى النِّساءَ زَخارِفًا
كُن كُلَّ ما مَلَكَت يَداكَ، مُكابِرًا
فَأَنا الغَريبَةُ لَم أَزَلْ أَحيا عَلى حُبّي القَديمِ
أَنا الغَريبَةُ خَبَّأَتْ فيكَ المَواجِعَ
لَحظَةً حينَ التَقينا صُدفَةً
في أَوَّلِ الحُبِّ الشَّقيِّ
وَخَبَّأَتْ في قَلبِكَ الذِّكرى
وَأَسرارَ الحَياةْ

غَني كَما أنَّ الحَمام

غَنّي كَما أَنَّ الحَمامُ
سَرَقتُ رُوحي مِن تَعاويذِ الكَلامِ
تَرَكتُ نِصفي عارِيًا مِنّي
تُبَلِّلُهُ التَمائِمُ بَعدَ ميراثِ التَّمامِ
أَضَعتُ في سَهو الغَريزَةِ
كُلَّ ضِلعٍ شَدَّ سَهمًا لِلعِظامِ
أَضَعتُ ما رَدَّ القَتيلُ مِنَ الأَصابِعِ
لِلقَتيلَةِ في مَتاهاتِ الرُّخامْ
غَنّي
كَما
أَنَّ
الحَمامْ
لا الحَربُ تَتَّسِعُ الرُّؤى مِثلي
وَلا حُزنَ المُقاتِلِ
لا الصَّدى يَكفي
وَلا سُحُبُ القَوافِلِ
خَلفَ مِتراسِ الطُّفولَةِ
وَاشتِباكي مِثلَ أَشجارِ الدُّخانِ
تَكَسَّرَتْ كُلُّ التَّماثيلِ الَّتي

زَيَّنتُها بِيَدَيَّ مِن ريشِ النَّعامِ
تَكَسَّرَتْ كُلُّ المَناديلِ الَّتي
كانَت تُلَوِّحُ في البَعيدِ عَلى دُروبِ الشَّامِ
لِلمَوتى دِثارٌ مِن غُبارٍ
كُلَّما دَقَّتْ طُبولَ الحَربِ أَسرارٌ
وَفَرَّت مِن جَدائِلِها إِلى بَيروتَ أَقمارٌ
عَصَرتُ القَلبَ
ذاتُ الوَجهِ
ذاتُ المَوتِ
ذاتُ الذّاتِ
وَالأَحزانُ مِن وَجهٍ
تُطِلُّ عَلى بَقايا الوَشمِ فَوقَ الماءِ
ثُمَّ تَنامْ
غَنّي
كَما
أَنَّ
الحَمامْ
ما كانَ تِبرًا صارَ وِزرًا
وَالسَّقيفَةُ كَالسَّقيفَةِ
غَيرَ أَنَّ الحَربَ أَصغَرُ
مِن مُرورِ القَلبِ في سَمِّ الخِياطِ
وَما الطَّريقُ سِوى الطَّريقِ

سِوى الحَريقِ
سِوى صِراطٍ بَينَ مَن ماتوا
وَمَن ماتوا
فَلا الكَفُّ الَّتي انتَصَبَتْ عَلى التّابوتِ
سُنبُلَةٌ
وَلا النّارُ الَّتي اغتَسَلَت بِها بَيروتُ
أُغنِيَةٌ
وَلا سُحُبٌ سِوى ما خَلَّفَتْ كَفّاكِ لِلمُشتاقِ
عاشِقَةٌ تُرَمِّمُ عِطرَها الشَّتَويَّ
مِن حَجَرٍ تُحيكُ القَلبَ فَوقَ أَصابِعِ العُشّاقِ
عاشِقَةٌ تُهَيِّئُ خَمرَها الأَبَديَّ أَشواقًا
عَلى الطُّرُقاتِ لِلقَتلى
أَمِنْ وَجَعٍ تُضيءُ الرُّوحُ كَالتُّفاحِ في المِشكاةِ
حينَ يَدورُ كَالمِفتاحِ
في جُرحٍ بِأَقصى القَلبِ مِسمارٌ؟
تَرَكتُ الرَّمَلَ بَينَ يَديكِ كَي أَنسى
دَمي المَكسورَ مِزمارًا
تَرَكتُ العُمرَ أَمطارًا عَلى خَدّيكِ
وَالشُّهَداءَ أَشجارًا
وَأُغنِيَةً عَلى شَفَتيكِ دونَ كَلامْ
غَنّي
كَما غَنّى الحَمامْ

أحنُّ إليها

□□ أَحِنُّ إليها
قَليلٌ مِنَ المَوتِ يَكفي الغَريبَةَ
بَعدَ صَهيلٍ سَتَنهَضُ مِن حُلُمي
كَي تُعِدَّ الحَقيبَةَ
بَعضَ الصَّباحِ
وَفِنجانَ قَهوةِ حُبٍّ مَضى
كَالسُّؤالِ البَريءِ سِنينًا
يُؤَلِّفُ بَينَ الخَرابِ الذي احتلَّ روحي
وَهذا البَلَدْ

□□ يَمُرُّ المَكانُ
كَأَنَّ القِطارَ الذي قَدْ مَضى
مُنذُ وَقتٍ بِدوني
بِلا مَوعِدٍ لا يَمُرُّ عَلى العاشِقينَ
الَّذينَ نَسوا عِشقَهُم في المَحَطَّةِ
فَوقَ الرَّصيفِ
عَلى مَقعَدٍ بارِدٍ
دونَ رُوحٍ تدفِّئُ بَردَ الجَسَدْ

أَنامُ عَلى مَقعَدي بانتِظارِ الغَريبَةِ
وَحدي
وَما مِن قِطارٍ يُبَدِّدُ لي وَحدَتي في الظَّلامِ
وَما مِن أَحَدْ

□□ أنا
عاشِقٌ في الخَرابِ
تَعَلَّمَ وَقعَ الحَياةِ عَلى رَقصَةِ النّارِ
بَينَ الفَراشاتِ
كُنتُ أُصَلّي لَها
وَهيَ أُنثى بِثَوبِ السَّوادِ
تُعِدُّ وَليمَةَ عِشقٍ أَخيرٍ لِقَلبي
سِراجًا عَلى حَجَرينِ
وَأَوهَنَ بَيتٍ
وَرَقصَةَ مَوتٍ
لِتَمتَصَّ مِنّي رَحيقَ الحَياةِ
وَمِلحَ الجَسَدْ

□□ بَقاياكِ ماءٌ
يَنِزُّ مِنَ العُشبِ فَوقَ الجِدارِ القَديمِ الَّذي
كانَ يَفصِلُ ما بَينَنا مُنذُ بَدءِ الحَياةِ
وَحتّى انحِسارِ الكَلامِ الطَّويلِ

بَقاياكِ قُبَّرَةٌ لِلرِّثاءِ
تهيِّئُ لي في الظَّلامِ الظَّلامَ دَليلاً
عَلى الماءِ
في الحُبِّ يوجِعُني الحُبُّ
كَيفَ تَرَكتُ السَّبيلَ إلى الرُّوحِ؟
كَيفَ وَثَقتُ بِماءٍ
وَقُبَّرَةٍ
وَنَسيتُ الوَصايا العَتيقَةَ:
لا تَثِقوا بالنِّساءِ النِّساءِ
تَضِلّوا عَلى الماءِ
حَتّى الأَبَدْ؟!

□□ أُحِبُّكِ
لكنَّ صَوتي فَقيرٌ
تَعلَّمَ مُنذُ الطُّفولَةِ
أَن يَصعَدَ الدَّربَ هَمسًا
وَراءَ المَسيحِ
لِيُصلَبَ في الشَّمسِ والبَردِ
فوقَ وَتَدْ

ليلى والذِّئب

"هابِّـــي برثْدِي تو يو"
لَيلى نامَتْ
شَمعَةُ خامسِ عيدٍ بَعدَ المَوتِ بِزلزالٍ
ذابَتْ مِن أَثَرِ الكَفِّ المَحروقَةِ
ريشَةُ ذئبٍ
شَيطانٌ أَخضَرُ يَتَقاسَمُ خُبزَ القَمحِ
مَع امرَأَةٍ نَسِيَتْ أَن تُلقيَ في فَمِهِ
بَسمَلَةَ البَدءِ وَسيلَ دُعاءْ
مِنديلٌ...
– أَقصُدُ بَعضَ ثِيابٍ لامرَأَةٍ
لَيسَت للرُّؤيا، تُخجِلُني –
صارَتْ عَلَمًا فَوقَ رُكامِ الدّارْ
مِفتاحٌ لا يَستُرُ عَورَةَ مَنْ ماتوا
كَعكَةُ عيدٍ
وَبَقيَّةُ ليلى تتَدَلّى مِن فَوقِ جِدارْ
"هابِّـــي برثْدِي تو يو"
بَلَدٌ يَحمِلُ أَسفارًا كَحِمارٍ
خَمسَةُ قَتلى...
بَل شُهَداءْ!

يَختَلِفُ السّادِنُ والأَصنامُ عَلى جَسَدٍ
هَل يُدفَنُ أَم يُغسَلُ بِالماءْ
والمَيتُ تُرابْ
مَنْ يُشرِعُ سَيفًا لا يَقطَعُ إلاّ كَعكَةَ عُرسٍ
وَكَأَنَّ الزَّمَنَ بِلا قَدَمينِ
فَمُنذُ بِدايَةِ مَوتِ أَبي
وَأَنا وَحدي
أَرفَعُ كَفّي في وَجهِ طَواحينِ هَواءٍ
وَأُعِدُّ دَفاتِرَ مَن غابوا مِن رَملِ البَحرِ
وَطائِرَةٌ كانَت طَيرًا مِن طَيرِ أَبابيلِ الماضي
تُلقي بِحِجارَةِ سِجّيلٍ
تُعلِنُ مَوتي
لكنّي في عَصرِ المَوتِ الرَّقَميِّ
كَأَيِّ قَتيلٍ مَنسيٍّ
بَينَ الأَرقامِ وَذاكِرَةٍ
لا تَحفَظُ غَيبًا أَسماءً
ما عُدتُ أَموتُ وَلَو مُزِّقتُ إِلى أَشلاءْ
هَل أَكذِبُ كَي أُصلِحَ قَلبي؟
أَعرِفُ حُزني:
لَيلى، والبَردُ، وَأُغنِيَةٌ
بَيتٌ لِلنَّملِ
حُطامُ السّاعَةِ في مِعصَمِ غِرٍّ

عُلَبُ الكبريتِ
وَأَشياءٌ لا تُعلِنُ عَنّي
فاتِحَةٌ نَضَجَتْ في جَيبِ الجارِ
وَحَربٌ تُعلَنُ "كَالفُجّارِ"
وَقَبضَةُ مِلحٍ أَوَّلَ خَطوي في أَيّارْ
"هاپـــي بِرْثْدي تو يو"
لَيلى تَشرَحُ لِلذِّئبِ مَعاني الضّادِ
وَكَيفَ تُقَطَّعُ كَعكَةُ أَعيادِ الميلادِ
وُجوهٌ تَخرُجُ مِن حَجَرٍ كَرَغيفِ الخُبزِ
عَلى سَفَرٍ
فَوضى الأَضدادِ
رَصاصَةُ أَعمى
مِن قَمَرٍ يَنبَثِقُ الماءُ لِيَغسِلَ آثارَ عُواءٍ
غُرباءَ تَداعَوا لِلدُّنيا دونَ نِداءٍ
صَفحَةُ ماءٍ
وَبَقِيَّةُ آثارِ حِذاءٍ
ريحٌ، عُكّازٌ، وَغُرابٌ
بَيتُ صَفيحٍ
نافِذَةٌ تَفتَحُ في اللاّشيءِ عَلى اللاّشيءِ
هُواةُ الحُبِّ
هُواةُ النَّومِ
هُواةُ المَوتِ

هُواةُ الجِنسِ
هُواةٌ لِلتَّصويرِ، ولِلتَّكفيرِ
لِصَيدِ الوَقتِ
هُواةُ قِراءَةِ خَيطِ الكَفِّ
بِكَسرَةِ خُبزٍ تُشبِعُ جوعًا دونَ عَناءْ
كُلُّ الأَسماءِ مُعَلَّقَةٌ
كُلُّ الأَوجاعِ مُعَلَّقَةٌ
كُلُّ الأحلامِ:
صُعودُ الرُّوحِ عَلى فَرَسٍ
شَمعَةُ عيدٍ، وَنَشيدُ العَلَمِ، ولَونُ الماءِ
وَنارٌ توقَدُ في الصَّحراءْ
كُلُّ الآجالِ مُعَلَّقَةٌ
حَتّى يَأتي مَن لا يَأتي
يَوماً كَي يُؤنِسَ فينا الصَّوتَ
وَيُؤنِسَ في غُربَتِنا المَوتَ
يُصالِحُ بَينَ الذِّئبِ ولَيلى
بَينَ الماءِ وَجوعِ النّارْ

المجدليَّة

مِثلي يَقُضُّ نَهارَها
أُنثى الحَمامِ غَرائِزٌ
مُدَّتْ خَطايا بَينَنا
وَكَأَنَّنا
– أُنثى الحَمامِ، وَخَيبَتي–
لَم نَستَعِرْ ثَوبَ الغَمامِ
كَأَنَّنا
نَنسى عَلى حَبلِ الغَسيلِ سَماءَنا
طُعمًا تَدَلّى لِلذِّئابْ
لَم تَخلَعِ الخَيلُ القَتيلَةُ شَكلَها لَيلاً
وَلا انطَفَأَتْ رُؤوسُ أَصابِعي سَهوًا
كَأَعوادِ الثِّقابْ
لي ما تَرَكتُ مِنَ الشَّواهِدِ:
خَيبَةُ الأُنثى
هَشاشَةُ حائِطِ الماءِ المُزَيَّنِ
بِالقَرابينِ العَتيقَةِ
حاجِزُ الرَّملِ المُزَيَّفِ
وَالمُرورُ عَلى الضَّريحِ لِعابِثٍ
حَجَرٌ يُغَسِّلُهُ دَمي

وَعدٌ
بِلادٌ أَشرَعَتْ قَرنينِ لِلمَوتى
حُطامٌ يُشبِهُ الأَحلامَ
تاريخٌ يُهَرَّبُ في القِطاراتِ الَّتي تَمضي
وَراءَ البَحرِ دونَ إِيابْ
ما كانَ لي مُنذُ احتِباسِ الرُّوحِ
في التّاجِ المُقَدَّسِ
مُنذُ أَن آنستُ نارًا
وَالسَّنابِلُ تَعتَلي بُرجَ الحَمامِ
كَأَنَّهُ قَد ظَلَّ لي:
لُغَةُ الحِجارَةِ
وَالخُرافَةِ
وَالتَّمائِمِ
رَقصَةُ الرُّوحِ الأَخيرَةُ فَوقَ مِسمارِ الخَطيئَةِ
وَالخَرابْ
لَم تَتَّسِعْ كُلُّ السَّماءِ لِغيمَةٍ مِثلي
وَلا كانَت مِياهُ البَحرِ كافِيَةً
لِتُطفِئَ نارَ أَدراني
أَنا العِشقُ الخَريفيُّ المُغَسَّلُ بالتُّرابْ
وَأَنا المُؤَذِّنَةُ الَّتي صَعَدَت عَلى دَرَجِ السَّماءِ
فَأَحرَقوها بالشَّهابْ
وَأَنا الصَّغيرَةُ قَد نَثَرتُ العُمرَ يَومًا

مِثلَ خُبزٍ لِلحَمامِ
فَصِرتُ قوتًا لِلغُرابْ
وَأَنا... أَنا
كُنتُ الضَّحيَّةَ
والسَّبيَّةَ
في الحُطامِ
وَفي الزِّحامِ
وَفي الجَفافِ الآدَميِّ
وَوُزِّعَت أَشتاتُ رُؤيايَ الطَّويلَةِ
بَينَ دِجلَةَ وَالفُراتِ
حِجارَةً – في يَومِ رَجمي –
فَوقَ أَجنِحَةِ الذُّبابْ
مَن كانَ دونَ خَطيئَةٍ
فَليَشرَبِ الكَأسَ المُقَدَّسَةَ الجَديدَةَ مِن دَمي
دَينًا عَلَيَّ مُؤجَّلاً
دَينًا عَلى أُنثى الحَمامِ قَرينَتي
دَينًا عَلى روحِ النَّبيِّ وَطُهرِهِ
دَينًا عَلى بَلَدٍ قَضى شَهَواتِهِ مُستَمنيًا
في مَوسِمِ الإخصابْ

يَحيى

كَفافٌ
كَأَنّي خَيالٌ أَرى ما نَسيتُ:
رَذاذَ دَمي فَوقَ سِكّينِكَ المُستَجيرَةِ
مِنّي بِذُلِّ السُّؤالْ
حَمامًا عَلى صَدرِ أُنثى تَميلُ عَلى
ظِلِّكَ المُتَكَسِّرِ قَوسَ غُبارٍ
وَمَضَةَ عودِ الثِّقابِ السّريعِ
كَعُمري القَصيرِ الَّذي لَم يَجِدْ صَحوةَ الاشتِعالْ
كَأَنّي خَيالٌ أَرى ما نَسيتُ:
فِطامي
وَتُفّاحَةَ الذّاهِبينَ إلى الصَّحوِ
أَحلُمُ/
تَغسِلُ أَوراقَها الذِّكرَياتُ مِنَ السَّهوِ
أَحلُمُ/
لا حُلمَ يَكفي لكَي أَستَعيذَ مِنَ الصَّبرِ
بِالشَّهواتِ القَصيرَةِ
أَحلُمُ/
لا عُمرَ يَكفي
فَما تَرَكَ الجائِعونَ مِنَ الخُبزِ

بَينَ أَيادي النِّساءِ سِوى كِسرَةٍ
وَاجتِرارِ الظُّنونِ
وَما تَرَكَ البائِسونَ مِنَ الدَّمعِ
قَبلَ الرِّثاءِ سِوى دَمعَةٍ
وَانكِسارِ العُيونِ
أَيَكفي اعتِذارٌ عَنِ المَوتِ قَبلَ الأَوانِ؟
أَيَكفي اعتِذاري
وَشَهوَةُ عِطرٍ عَلى ثَوبِ هاجِرَ
يَومَ استَراحَت عَلى صَدرِكَ النَّبَوِيِّ؟
أَيَكفي اعتِذارٌ لِكَي أَحرُسَ المَوتَ
مِما رَأى قَبلَ عِشرينَ قَرنًا قَريني؟
أَيَكفي اعتِذارٌ عَنِ المَوتِ سَهوًا
وَعَن سَيلِ هذا اللُّعابِ الَّذي حَطَّ بَينَ يَدينِ اثنَتَينِ
تُزَيِّنُ تُفّاحَةٌ فيهِما إِصبَعينِ
وَعَن خَمرِ هذا التَّجَلّي
وَرَأسي
وَسِجّادَةٍ مِن خُيوطِ لُهاثي وَيَأسي
وَراقِصَةٍ تَشتَهي ما تَبَقّى عَلى شَفَتي
مِن حَليبِ الطُّفولَةِ يا أَبَتاهُ
أَيَكفي اعتِذارٌ عَنِ المَوتِ قَسرًا
وَما ظَلَّ خَلفي مِنَ الظِلِّ وَالشَّكلِ
بَعدَ الزَّوالْ؟

كَأَنّي خَيالٌ أَرى ما نَسيتُ:
غِيابي
وَهمسَ المُنادي يُبَلِّلُهُ اللَّيلُ
شَيبَ الطُّفولَةِ فَوقَ ثِيابي
وَغورَ التَّداعي
وَسِرًّا عَلى ساعِديكَ وَنَهرًا
وَخمرًا، وَمُهرًا، وَجَيشَ الجَرادِ
وَمُعجِزَةَ السّاهِرينَ عَلى بابِ قَبرٍ
كَأَنّي أَنا – يا أَبي – لَستُ نَفسي
أُفَتِّشُ عَنّي لَعَلّي أُوَدِّعُني ثُمَّ أَرجِعُ
لَكِنَّ شَيئًا كَأَسرابِ نَملٍ
يَشُدُّ المَدينَةَ مِنّي
وَما مِن بِلادٍ
وما مِن نِساءٍ يُهَدهِدنَ دَمعي
وَما مِن أَكُفٍّ تَمَسِّدُ شَعري
وما لي جَسَدْ
أَنامُ
وَما كانَ لي أَن أَنامَ عَلى كَتِفيكَ
أَنامُ عَلى دَكَّةٍ – رُبَّما – لِلحَمامِ
أَنامُ
وَما عادَ لي أَن أَنامَ
كَما يَلبَسُ النَّومُ صَحوًا سَريعًا

أَنامُ
وَما عادَ لي غَيرُ كَفَّيكَ
مِنّي تُخيطانِ سَرجاً
لِكُلِّ الَّذينَ مَضَوا خَلفَ وَهمٍ
وَعادوا إلى كِذبَةِ الذِّكرَياتِ
كَأَنّي – أَبي – مُنذُ عِشرينَ قَرنًا
سُؤالٌ وَراءَ السُؤالِ وَراءَ السُؤالِ وَراءَ
السُؤالْ

جُرح قديم

جُرحٌ قَديمْ
وَالبَحرُ أَبيَضُ
كَالمَسافَةِ بَينَ عُكّازَينِ مِن حَجَرٍ:
فِطامِكَ وَاغترابِكَ في زَفيرِ النَّملِ
مِن أَلياف مِشنَقَةٍ
| تَهُبُّ الرّيحُ |
وَعدًا في خَرابِ الكَفِّ
لا رُؤيا تُظَلِّلُ ظِلَّكَ المَحروقَ فَوقَ أَصابِعي
لِتَنامَ يا أَبَتِ
وَلا أُنثى تَفيضُ عَلَيكَ
تُطفِئُ شَهوَةَ الآتي
تَهُبُّ الرُّوحُ
تُمعِنُ في الجَفافِ المُرِّ
في السَّهوِ المُوَزَّعِ بَينَ مِرآتينِ
في الصَّبرِ المُخَبَّأِ في قِرابٍ تُثقِلُ الكَتِفَينِ
في الضَّجَرِ المُلازِمِ لِلخُطى والتّيهِ في جُرحينِ
تَرحَلُ في تَمامِ الصَّمتِ فَضفاضًا
كَأَنَّ القَومَ بَعدَ القَومِ أَعجازٌ لِنَخلٍ
في صَريرِ اللَّيلِ مَسكونٍ

بِداءِ الصَّبرِ وَالآثامْ
كُلُّ الَّذينَ تَقاطَعوا في الحَربِ
غابوا عَن شَوارِعِكَ العَتيقَةِ
وَاستُبِحتَ
وَأَقفَرَت طُرُقُ المَدينَةِ
وَحدَكَ الغَيبُ المُخَبَّأُ في الحَقيبَةِ
وَحدَكَ القَلَقُ المُمَزَّقُ خَلفَ جُدرانِ الحَقيقَةِ
وَحدَكَ الجَسَدُ المُوَزَّعُ في تَمامِ الصَّبرِ نَثرًا كَالغَمامْ
مَن يَكتُبُ التّاريخَ يَنسى
أَن يَمُرَّ عَلى جِراحِكَ حافِيًا
| لَو حافِيًا |
مَن يَكتُبُ التّاريخَ تُدمي كَفَّهُ السَّمراءَ
ذِكرى وَعدِكَ المَسكونِ خَوفًا يائِسًا
مَن يَكتُبُ التّاريخَ يَنسى صَوتَ صَمتِكَ
لِلسَّماءِ مُعاتِبًا
خَذَلوكَ يَومَ تَكَسَّرَت صُورُ المَدينَةِ
وَالقُلوبُ تَبَعثَرَتْ خَلفَ الحَناجِرِ
وَالخَناجِرُ في ضُلوعِكَ أُغمِدَت
خَذَلوكَ يَومَ تَيَمَّمَوا مِن مِلحِ دَمعِكَ ثُمَّ قالوا:
| لِلسَّماءِ جُنودُها |
إذهَب وَرَبُّكَ قاتِلا
إنّا هُنا

مُتَحارِبونَ عَلى الصَّدى
وَعَلى الكَلامْ
جُرحٌ قَديمْ
وَالبَحرُ أَبيَضُ
وَالفَراشاتُ الصَّغيرَةُ مِن وَريدٍ قَد تَدَلَّت كَالغَسيلْ
مَن ذا يهيِّئُ قَبرَها
وَالمَوتُ أَبيَضُ في الرَّحيلْ؟
مَن ذا يهيِّئُ عِطرَها
وَالصَّوتُ أَبيَضُ في الصَّهيلْ؟
مَن ذا يهيِّئُ ثَوبَها
وَأَنا المُؤَذَّنَ في الكَلامِ وَفي السَّلامِ
وَفي الصَّلاةِ عَلى الحُفاةِ
أَنا المُؤَبَّنَ في الجِنازَةِ
كُنتُ أَعرِفُ شَكلَ وَجهي
وَالمَسافَةَ بَينَ حُلمي
وَانقِطاعِ الخَطِّ في أَعماقِ كَفّي
غَيرَ أَنّي
قَد أَفَقتُ عَلى الدُّموعِ
عَلى مَراثي العابِرينَ عَلى الضُّلوعِ
عَلى الشُّموعِ
عَلى الغِيابِ يَعودُ في دَربِ الرُّجوعِ
عَلى الكَلامِ يَسيلُ مِن نَزفِ الغَمامِ

عَلى السَّماءِ تُفَتِّحُ الأَبوابَ لي
وَالأَنبياءِ يُرَدِّدونَ صَلاتَهُم خَلفي...
| أَنا |
ما كُنتُ إلاّ زائِدًا في المَشهَدِ اللَّيليِّ أَهمِسُ لِلمَقاعِدِ
بَعدَ أَن يَمضي الجُنودُ
أُرَدِّدُ الأَحزانَ وَحدي:
إن كَتَبتَ رَسائلاً لِلغائِبينَ ولَم تَجِدْ
فيها فِلَسطينَ الَّتي غابَت عَنِ الدُّنيا
وَما زالَت تُظَلِّلُ جُرحَكَ المَفتوحَ في اللُّقيا
فَحُزنُكَ كاذِبٌ
كاذِبْ
ما كُنتُ إلاّ زاهِدًا في المَسجِدِ المَنسيِّ أَهذي
إن نَسيتَ – وَأَنتَ تَرفَعُ في الدُّعاءِ إلى السَّماءِ
جَبينَكَ المَوسومَ مِن أَثَرِ السُّجودِ بِلَيلَكٍ –
نَجوى فِلَسطينَ القَتيلَةِ
قِبلَةَ العُشّاقِ
فاذكُرْ أنَّ دَمعَكَ كاذِبٌ كاذِبْ
ما كُنتُ إلاّ شاهِدًا في المَسرَحِ اللَّيليِّ أَصرُخُ:
إن نَسيتَ – وَأَنتَ تولِمُ لِلجِياعِ هَزيمَةً أُخرى –
فِلَسطينَ الَّتي نامَتْ عَلى أَعتابِ بَيتِكَ
فاذكُرِ الرِّيحَ الَّتي قَلَبَت قُدورَ العائِدينَ مِنَ المَدينَةِ
دونَ أَعلامِ

وَلا أَحلامْ
جُرحٌ قَديمْ
وَالبَحرُ أَبيَضُ
وَالسَّماءُ تَنامُ في جَيبِ القَتيلْ
لِلمَوتِ وَقتٌ ضائِعٌ
لِلحَربِ نابٌ
لِلسَّماءِ مَلاكُ مَوتٍ واضِحٌ
وَالرُّوحُ أُنثى
وَالحَقيقَةُ أَلفُ وَجهٍ تَقبَلُ التَّعليلْ
هَل تُعرَفُ الأَسماءُ مِن لَونِ الوُجوهِ
وَمِن خُطوطِ الكَفِّ قَبلَ خَرابِها
أَم تُحشَرُ الأَجسادُ في الأَجسادِ غَيبًا
| قيمَةً |
لا تَقبَلُ التَأنيثَ وَالتَذكيرَ وَالتَأويلْ؟
كُلُّ الَّذينَ تَكاثَروا في الكَهفِ ماتوا
وَالمَدينَةُ لا تُعِدُّ صَلاتَها
| الأَنبياءُ الأَنبياءُ العائِدونَ مِنَ الخُرافَةِ |
هَل سَيَخرُجُ مِن حَرائِقِ فِتنَةِ الصَّمتِ المُدانِ مُحَمَّدٌ؟
| وَالجائِعونَ الجائِعونَ تَدافَعوا مِثلَ الذِّئابِ عَلى الفَريسَةِ |
هَل تَرَبَّعَتِ المَدينَةُ في السَّماءِ عَلى السَّماءِ
وَغَيَّرَت أَبعادَها؟
| وَالتائِهونَ التائِهونَ تَناثَروا كَالغَيمِ|

ماذا يَكسِرُ الفَقَهاءَ لَو كانَ الصَّدى بُعدَينِ؟
ماذا يَكسِرُ الخُطَباءَ؟
ماذا يَكسِرُ المَوتى؟
وَماذا يَكسِرُ الأَحياءَ
لَو كانَ الصَّدى بُعدَينِ يَلتَقِيانِ
وَمضَةَ لَحظَةٍ جَهرًا؟
أَعُدُّ أَصابِعي لِتَنامَ
يَغفو البَحرُ
تُمعِنُ في السُّقوطِ الحُرِّ في جَسَدي
أُرَمِّمُ عَتمَةً سالَت عَلى شَفَتي
أنا وَالخَوفُ مِرآتانِ في جَسَدٍ بِلا عَينينِ
تَختَنِقُ الحِكاياتُ الَّتي فاضَت بِماءِ البَحرِ في رِئَتي
أَعُدُّ أَصابِعي
وَالوَقتُ يَسرِقُني
أَعُدُّ أَصابِعي
وَالوَقتُ يَترِكُني
أَعُدُّ أَصابِعي
وَالوَقتُ دائِرَتي
أَعُدُّ أَصابِعي وَأَفِرُّ
لا مَسرى سِوى مَسراكَ
يَختَلِطُ الإِيابُ الحُرُّ بِالماضي
وَتَشرَبُني مِياهُ الغَيبِ

لا ذِكرى سِوى ذِكراكَ
كَيفَ أُرَمِّمُ الكَلِماتِ
وَالذِكرى سِتارٌ يَحجِبُ الرُّؤيا؟
وَكيفَ أَمُرُّ كالرّيحِ الَّتي ضاقَت بِها الدُّنيا
عَلى جَسَدٍ
مِنَ الأَحلامِ
وَالأَوهامِ
وَالأَختامْ؟
جُرحٌ قَديمْ
جُرحٌ قَديمْ

قال ضِدّي

مِن أَينَ أَبدَأُ؟
قالَ ضِدّي:
مِن غُبارِ القُدسِ شَيبًا
يَلبَسُ الأَوراقَ زَهرًا
مِن جَحيمٍ كانَ خِدرًا لِلقَتيلَةِ
مِن قَتيلٍ تَحتَ دالِيَةٍ تَدَلّى مِثلَ عُنقودٍ حَديدْ
مِن أَينَ أَبدَأُ وَالبِلادُ تَشُقُّ روحي
مِن أَقاصي البَحرِ حَتّى خَيبَةِ الرَّملِ
المُصَفَّدِ في الوَريدْ؟
ما عادَ مِن حَرثِ الطُّفولَةِ غَيرُ نِصفي
في ارتِدادي فائِضًا
مِن وَهنِ هاجَرَ وَالهَجيرِ
تَكَسَّرَتْ حُمّى الرُّجوعِ عَلى جَبيني
وَالرُّؤى...
وَالشامُ شِقٌّ...
وَاختِلاطُ الغَيبِ يُنسي
كَمْ قَطَعتُ الآنَ غَيري!
كَم سَأَمشي في المَسافَةِ بَعدَ عَرشي
وَالمَدى بَينَ الغَمامَةِ وَالثَّرى

عدَدُ الخُطى فَوقَ الحَصى
مَدُّ المَرايا
وانعِتاقُ البَحرِ مِن حُمّى العَصا
مِن أَينَ أَبدَأُ؟
كُنتُ أَهذي
لا حَمامُ القُدسِ يَكفي كَي أَلوذَ بِزَهرِ نَعشي
لا حَريقُ الدَّمعِ وَقعٌ لِلجَنازَةِ
لا بَريقُ الرُّوحِ يُنسي
كَي أَلوذَ بِوَهمِ نَفسي
هارِبًا...
مِن كُلِّ مَوتٍ غابِرٍ
وَكَأَنَّهُ مَوتٌ جَديدْ
يا نارُ كُوني في سَنامِ الصَّبرِ نارًا
كُلَّما آبَ الرَّسولُ
بِشَهوَةِ الحُلُمِ المُزَيَّنِ بِالذَّبيحِ
سَقَطتُ غَيبًا في تَراتيلِ الصَّفيحِ
مِنَ المُخيَّمِ لِلمُخَيَّمِ
كُلَّما آنَستُ دارًا وَافتَرَشتُ ظِلالَها
آثَرتُ إِصري وَالأَسى:
جُرحَ القَنانَةِ
كَم طَريقٍ في الطَّريقِ إِلى القِيامَةِ
كَم حَريقٍ في الحَريقِ

تَكَسَّرَتْ مِثلَ الزُّجاجِ
أَصابِعُ الزَّمَنِ الأُجاجِ عَلى قُروني
وَالمَدائِنُ أُزلِفَتْ
وَالصَّيفُ لِبسٌ
وَالعَصا...
خَيطُ الرِّوايَةِ، وَالبِدايَةِ، وَالمَفازَةِ، وَالجِنازَةِ
أَعطِني غَيبَ التَّمائِمِ في الوَداعِ
وَأَعطِني مِن غُربَتي زِيفَ المَشاعِ
وَفُسحَةً في الإِشتِباكِ لَعَلَّني
أَثوي الضَّحايا بِالتُّرابْ
يا قُدسُ كَم عَلَّقتُ شَمسي زاهِدًا
في كُلِّ بابْ
وَزَرَعتُ غَرسي يائِسًا
فَوقَ السَّحابْ
وَتَرَكتُ وَقتًا لِلمَدائِنِ زائِدًا
بَعدَ الخَرابْ
وَمَلأَتُ كَأسي مِن أَكاذيبِ الغُرابْ
فَسُرِقتُ حُلمًا شارِدًا
كَي أَعتَلي
عَرشَ العَذابِ – مُخَيَّمًا –
هُوَ ما تَبَقّى
كُلَّما أَلقوا شَرِيدًا في جَحيمِ زِقاقِهِ

سَمعوا شَهيقًا كَالعتابْ
يا قُدسُ كَم أُوغِلتُ سِرًّا في الذَّبيحِ
كَأَنَّني صِفَةُ المَديحِ
كَأَنَّني مِفتاحُ بابٍ في السَّماءِ
كَأَنَّني حِبرُ القَضاءِ
وَشاهِدُ العِشقِ المُزَيَّفِ بالبُكاءْ
مَنْ قَسَّمَ العامَ القَديمَ لأَلفِ ضِلعٍ سادِرٍ
قي الإنحِناءْ؟
مَنْ قَسَّمَ الغَيبَ المُخَبَّأَ بَينَ أَنيابِ الذِّئابِ
وَحِكمَةِ المَوتِ المُؤَجَّلِ في تَعاليمِ الظِّباءْ؟
مَنْ قَسَّمَ العيدَ الجَديدَ
لأَحتفي عامَ الجُنونِ بِما تَبَقَّى مِن دَمٍ
فَوقَ الصَّليبِ
بِدَمعِ أُمّي
بِالمَسيحِ يَدُقُّ باباً خَلفَ بابٍ
بِالسَّبايا
بِالرُّقى
بِالقُدسِ عاصِمَةِ المَآتِمِ
بِالسَّنابِلِ فَوقَ أَشلاءِ المَنازِلِ؟
كَيفَ تاهَتْ كُلُّ أَرضِ اللهِ فينا
ثُمَّ ضاقَتْ بِالحَمامِ
نَوافِذٌ في القُدسِ يَومًا

حينَ شاخَ العُشبُ فَوقَ حِجارَةِ القِرميدْ؟
يا نارُ كوني في سَنامِ الصَّبرِ نارًا
كُلَّما غابَ الطَّريقُ نَثَرتُ خَطوي صاعِدًا
زِيفَ الحَمامَةِ
لابِسًا ثَوبَ القِيامَةِ
ناسِيًا مَوتي، وَميلادي...
فِلسطينيَّةٌ خَضراءُ أُغنِيَتي
فِلسطينيَّةٌ لُغَتي
فِلسطينيَّةٌ خَضراءُ
حَتّى لَو عَلى كَفيَّ حَطُّوا الشَّمسَ كَالحِنَّاءِ
حَطُّوا الرِّيحَ
حَتَّى لَو عَلى جَرَسٍ مِنَ الفُولاذِ
في السَّاحاتِ
صَبُّوا النَّارَ في جَسَدي
أَنا مَنْ عَتَّقَ الأحلامَ
مُنذُ رِوايَةِ الأَسفارِ
مُنذُ غِوايَةِ الأَسرارِ
مُنذُ بِدايَةِ الدُّنيا...
أَنا يا قُدسُ مَنْ أَبكى
حِجارَةَ "حائِطِ المَبكى"
سَرَقتُ النَّارَ مُنذُ كِتابَةِ الأَقدارِ
كَي أَمحو

هَشاشَةَ حِكمَةِ المَنفى
إذا لَم تَترِكِ الغِربانُ مِن كَبِدي
ولَو حَجَرًا مِنَ الصُّوانِ
في الميزانِ
يَعدِلُ كَفَّةَ الدُّنيا
وَجُرحَ المَوتِ
وَالميلادْ

نِصفُ النبي

إلى الغائب الحاضر: غسان كنفاني

نِصفُ النَّبيِّ يَفِرُّ مِن وَحيِ الغِيابِ
كَأَنَّني نُتَفُ السَّحابِ
كَأَنَّني أَسرَجتُ رُوحي واهِمًا
وَنَفَحتُ في الجَسَدِ الجَوابَ
وَقُلتُ كُنْ مِثلَ التُّرابِ إذا ارتَوى
كُن لَيِّنًا يا صاحِبَ الماءِ المَشاعِ
فَلَم يَكُنْ إلاّ الحَجَرْ
كانَ السَّريرُ يَضُمُّ فاتِحَةَ الكِتابْ
كانَ الحَمامُ بَريدَ عِشقٍ غابِرٍ بَينَ القِبابْ
وَالرّيحُ كانَت ثَوبَ عاشِقَةٍ تُغَنّي لِلتُّرابْ
وَأَنا التُّرابُ
أَنا التُّرابُ
أَنا التُّرابْ
في أَيِّ وَجهٍ تاهَ وَجهي خَلفَ عَكّا
مُنذُ عامِ الحُزنِ تَنأى
وَالمُخَيَّمُ يَحتَمي بالشَّيءِ شَكلاً
هَل تَعَلَّمَ آدَمُ الأَسماءَ مَعنى

أَم مَجازًا؟
وَالمُخَيَّمُ، ما المُخَيَّمُ؟
ضِلعُ أُنثى؟
شاةُ راعٍ؟
لَعنَةُ السَّردينِ في بَحرٍ مَشاعٍ؟
صُورَةُ الطِّفلِ الَّذي ما خُنتُهُ
وَأَنا أُرَمِّمُ بِالطَّحينِ أَسى وَداعٍ؟
ما المُخَيَّمُ؟
مِيسَمُ النّارِ الَّذي وَسَمَ الوُجوهَ
بِدَمعِ "أُوديسَ" المُخَبَّأ في شِراعٍ؟
ما المُخَيَّمُ؟
لَم يَكُنْ مَوتُ السَّريرِ سِوى سِتارٍ
وَانتِظارٍ
كُلَّما أَسلَمتُ رُوحًا
دَقَّ قَلبي باعتِذارٍ
كَيفَ صارَ الوَقتُ وَقعًا لِلخَسارَةِ
مِثلَ رَقّاصٍ تَدَلّى دونَ وَجهٍ
فَوقَ أَشلاءِ الجِدارْ؟
ما كُنتُ رِتقًا
غَيرَ أَنَّ الرُّوحَ تُمسي حِنطَةً بَعدَ البِذارِ
تَبَدَّدَتْ لُغَةُ الغُبارِ
وَكُلَّما قايَضتُ كَفّاً بِالمَدينَةِ

رَفَّ قَلبي
كُلَّما بايَعتُ وَجهًا في السَّقيفَةِ
جَفَّ قَلبي
وَانحَنيتُ عَلى كِتابي كَالسَّنابِلِ شاحِبًا
قَطَّرتُ حِبري مِن دَمي
وَمَلأتُ بِئري مِن دَمي
وَلَبِستُ ثَوبي مِن دَمي
وَأَضَأتُ شَمعي مِن دَمي
وَسَرَقتُ حُلمي مِن دَمي
وَرَأَيتُ في وَقعِ العَصا
أَعمىً خَصيًّا يَنحَني
كَالخَيرَزانِ عَلى فَمي
وَيَلُمُّ مِن نَثري الضَّحايا
يَسرِقُ السَّاعاتِ منِّي
يَرتَوي مِن كَأسِ عِريي
يَسأَلُ الصَّحراءَ عَنّي:
"كَيفَ لَم يَطرُقْ جِدارَ صَفيحِهِ المُضني"؟
وَيَترِكُ جُثَّتي في الرَّملِ لِلغِربانِ تَنهَشُني!
بُرودَةُ حِكمَةِ المِنشارِ عارِيَةٌ
بِدونِ دِثارْ
سَرَقوا الشَّوارِعَ
فَالشَّوارِعُ لَم تَعُدْ

غَيرَ التِباسِ الدَّربِ في غَبَشِ المَرايا
لا طَريقَ يَعودُ مِن قُعرِ الجَّحيمِ
وَلا يَقينْ
سَرَقوا البَنادِقَ
فَالبَنادِقُ لَم تَعُد
غَيرَ انكِسارِ الزَّهوِ في جَسَدٍ سَجينْ
فَزّاعَةٌ لِلطَّيرِ تَشكو لِلحَمامَةِ:
لا بَريدَ مُعَلَّقاً بِجَناحِ طَيرٍ عابِرٍ
مَع غَيمِ عَكّا
لا قَرينَ سِوى غَريبٍ يَرتَديني كَي يُغَنّي باكِيًا
بِلِسانِ مِفتاحٍ قَديمْ
سَرَقوا الشَّواهِدَ
والهَزيمَةُ لَم تَكُن
غَيرَ انتِظارِ الوَقتِ في الزَّمَنِ البَديلِ
كَأَنَّما ضاعَ الدَّليلُ
كَأَنَّما أَضحى السُّؤالُ مُؤَجَّلاً
وَالحَربُ كُفرًا...
كُلُّ وَقتٍ صالِحٌ لِلحَربِ
لكنَّ البَنادِقَ لا تُقاتِلُ خَوفَها
مُتَكَوِّرًا مِثلَ الدُّخانِ عَلى غُباري
فَوقَ أَعمِدَةِ المَداخِنِ
أَحتَمي بِالنَّارِ مِن نارِ الهَزيمَةِ

وَالفَراغُ وَلَيمَةٌ
ما عادَ مِن عادَ القَديمَةِ غَيرُ وَجهٍ كالِحِ
وَالذِّكرَياتُ
مَدينَةٌ قَد غَلَّقَتْ كُلَّ النَّوافِذِ بالصَّفيحِ
وَسَلَّمَت مِفتاحَها لِلرّيحِ تَفتَحُ بابَها
صَدَّقتُ أَنّي كُنتُ ماءً
حينَ كانَ الماءُ صَرحًا فانفَجَرتْ
صَدَّقتُ أَنّي كُنتُ عِشقًا
حينَ كانَ العِشقُ عِتقًا فانفَجَرتْ
صَدَّقتُ أَنّي كُنتُ دَينًا
حينَ كانَ الدَّينُ قافِلَةَ الرِّجالِ الصَّامِتينَ
الصَّاعِدينَ
الصَّابِرينَ
الحالِمينَ
الجَّائِعينَ
المُبحِرينَ بِلا شِراعٍ فانفَجَرتْ
صَدَّقتُ أَنّي لَم أَكُن
نِصفَ النَّبيِّ يَفِرُّ مِن وَحي الغِيابِ
بِلا كِتابٍ فانفَجَرتْ
صَدَّقتُ أَنّي
لَم أُصَدِّقْ غَيرَ روحي
وَهيَ تَسكُنُ في الرَّصاصَةِ

فانفَجَرتُ اسمًا رَذاذًا مِثلَ ماءٍ
مِثلَ ماءٍ
مِثلَ ماءٍ
وَانتَصَرتْ

على حدِّ سيف القتيل

"مَرثاة جَسّاس"

وُقوفًا أَبي
مُنذُ أَن طاوَعَ القَلبُ نارًا
أَعُدُّ اشتِباكَ دَمي بِالذُّبابِ
لأُزجيَ فَوضى الحِرابِ
عَلى حَوزَةِ الرُّوحِ وَهمًا
وُقوفًا
عَلى حَدِّ سَيفِ القَتيلِ يَغوصُ عَميقًا بِلَحمي
عَلى الذِّكرَياتِ، عَليَّ
عَلى قَشَّةِ القَمحِ آخِرِ هذا الطَّريقِ الغَريقِ
عَلى رَعشَةِ الخَوفِ قَبلَ انقِلابي
عَليكَ وُقوفًا
عَلى وَجهِكَ الشَّتَويِّ
إِذا مالَ غَيمٌ لِيَشرَبَ مِنّي الهَديرَ
وُقوفًا أَبي
مُنذُ لا مُنذُ ما زِلتُ وَحدي قَتيلاً... أُنادي

أَبي، مِثــلَ خَيطٍ بِذَيلِ الخَيـــــالِ أُجَرجِرُ خَلفي سَوادَ السُّــؤالِ
حَزينًا كَأَنّي إِذا ما ذَرَفـــــــتُ عَلَيكَ دُموعي بَكَيتُ لِــحالـــي

كُليبُ أَبــي شَـــدَّ روحي إلى صَـــخرَةٍ في العَراءِ بِجَـبـلِ الضَّـــلالِ
بَنى مِن حُطــامي مَتاريسَ عَظمٍ وَإكليـــلَ عَــرشٍ، وَتــاجَ الجَلالِ
فَقاحَــتْ جُروحي الَّتي لا تَزالُ تَئِنُّ – أَبي – رَغمَ طــولِ ابتِهالي
كُليبُ – أَبي – سَدَّ مــاءَ السَّماءِ وَرَدَّ خُطــايَ، وَزادَ اشتِـــعالي

كُليبُ أَبي
مَدَّ لي في الفَراغِ الفَراغَ جِدارًا
وَسلَّ الكَلامَ وَعِشرينَ نارًا
وَسالَ عَلى خُضرَةِ الرُّمحِ
رَدَّ الغَمامَ
وَنادى بِكُلِّ الوُجوهِ لَعَلَّ القَبائِلَ مِنّي تُعِدُّ السَّلامَ
كَأَنّي أَبي ما تَرَكتُ الرِّياحَ تَجوبُ اغتِرابي
كَأَنّي أَبي ما خَلَعتُ جَبيني
وَسَلَّمتُ وَجهي سِتارًا
لَهُ
لِلمَدينَة
لَكِنَّ كُلَّ المُلوكِ إذا دَخَلوا قَريَةً أَوجَعوها...

فَكَيفَ السَّبيــلُ وَقَد ناخَ ظَــهري وَداسَتْ ضُلوعي صُنوفُ النِّــعالِ
وَخَيلُ المُهَلهِلِ غاصَتْ عَــميــقًا بِلَحمي وَفاضَتْ، وَجَفَّــتْ دِلالــي
وَما كُنــتُ إلّا طَليــقَ اللِّــجــامِ مَعَ الرّيحِ أَجري وَراءَ المُحـــالِ
أَنا المُستَعــارُ مِــنَ الشَّمسِ زَيتًا تَمُـــرُّ بِسَمِّ الخِيــاطِ جِــمــالي
أَنا الهُدهُــدُ الــنَّبــَويُّ وَعَــرشٌ لِبَلقيسَ كانَ وَراءَ ارتِــحـــالي

أَنا الذِّئبُ أَعوي وَجوعي صَهيلٌ تَئِنُّ لَهُ راسِياتُ الجِبالِ
فَما أَسلَمَ الجُوعُ مِنّي جَبينًا وَلا شَدَّ عُنْقي بَريقُ الحِبالِ
يَتيمًا وَها عُدتُ دونَ التئامٍ شَموسًا سَقَتني ضُروسُ اللَّيالي
وَما كُنتُ إلّا نَصوحًا وَلكِنْ يَضيقُ الرِّجالُ بِحُلْمِ الرِّجالِ
أَبي ما غَدَرتُ وَلكِنَّ زَهوَ كُلَيبٍ رَماهُ بِداءٍ عُضالِ

كُليبُ ، أُنادي
فَيَشرَبُ صَوتي قَطيعُ الحَمامِ
الَّذي مَرَّ مِثلَ جَرادٍ عَلى صُفرَةِ القَلَبِ
نابًا، فَنابًا
كُليبُ،
وَتَشرَبُ صَوتي السَّنابِكُ
كَم أَيقَظَ الحُلمُ فيَّ احتِلامًا!
وَكَم أَيقَظَ الحُلمُ فيَّ انقِلابًا!
أَنا القاتِلَ المَيِّتَ المُستَمِرَّ الإيابِ
إلى حِضنِكَ الأَبَويِّ أَبي
ما تَساوَت دِمائي بِماءِ الغَسيلِ
وَحُمّى العَويلِ
فَكيفَ تَساوَتْ رُؤوسُ النَّخيلِ إِذاً بَينَ كَفيَّ؟
كَيفَ تَداعَتْ بِلادٌ وَفَرَّتْ بِلا قَدَمينِ إلى قَدَميَّ؟
وَصَمتٌ طَوى حِكمَةَ العارِفينَ
وَعِشقًا لِلَيلى
فَعادَتْ إِليكَ بِصَمتِ المُهَلهِلِ

وَالقَلبُ نارٌ تَكَسَّرَ مِثلَ الجِرارِ؟
وَصَمتٌ طَوى خَيبَةَ الغارِقينَ بِوَهمِ السَّلامِ
فَعادوا إليكَ بِجوعِ اليَمامَةِ
وَالدّارُ عَصفٌ تَشَظَّتْ عَلى قَلَقِ الإنتِظارِ؟
وَما أَطلَقَ الكَفُّ بَعدُ أَبي
غَيرَ بَعضِ ارتِعاشٍ
وَرُمحًا مَضى يَقطَعُ الصَّمتَ حُرًّا
إليهِ، إليَّ
إلى غَفلَةِ الرُّوحِ
وَمضَةَ عِشقٍ
أَضاءَتْ وَرائي انبِثاقَ السَّلامِ مِنَ القَلبِ
مِثلَ انقِلابِ القَتيلِ – الطَّريدَةِ –
قَبلَ الأَوانِ عَلى المَوتِ
يَفتَحُ بابًا لِكُلِّ احتِمالٍ
كَأَنْ أُصبِحَ الآنَ وَحدي سِتارًا
لِجوعِ الرِّمالِ
لِصَمتٍ ذَليلٍ
وَعِشقٍ بَديلٍ
وَما كانَ يَوماً كُليبُ – أَبي –
غَيرَ وَعدِ الذُّهولِ
أَخي في الرِّهانِ
أَخي في اللِّسانِ

أَخي في اغترابي
أَخي في عَذابي
وَلكنْ إذا ما عَصى النَّهرُ مِنّي سَبيلاً
تَرَكتُ انحِنائي
وَآثَرتُ مَوتي

لأَمحوَ ذُلَّ السِّنينِ العجافِ وَنارٍ خَبَتْ خَلفَ خَيطِ الذُّبالِ
فَمُلكٌ عَلى كاسِراتِ الطُّيورِ يَذِلُّ إذا لَم يَكُنْ باعتِدالِ
رَماني بِداءِ الصَّهيلِ الطَّويلِ وَحُمّى الرَّحيلِ، وَجَرحِ المَآلِ
فَدانَ المُهَلهِلُ دَهرًا لِرُمحي وَلَحمي المُوَزَّعِ فَوقَ النِّصالِ
سَلامٌ عَلى شَهوَةِ الحالِمينَ عَلى الحُلمِ فينا بَعيدِ المَنالِ
دِماءٌ لَنا أَينَعَ الشَّوكُ فيها فَظَلَّتْ تُسَبِّحُ باسمِ المَعالي
فَكيفَ استَراحَ السُّؤالُ وَرائي وَخالَطَ صَوتي سَليلُ الغَزالِ؟
وَكَيفَ استَكانَت جُروحُ المُهَلهِلِ بَعدَ اللَّهيبِ وَطولِ انفِصالِ؟

وَكيفَ استَضاءَتْ بِلادٌ أَبي
في الهَزيعِ الأَخيرِ
بِنارِ الهُتافِ
وَزيفِ الكَفافِ
وَنامَت عَلى شُرفَةٍ بِانتِظارِ الَّذي
لا يَقودُ سِوى لانتِظارِ انتِظارِ

مُحمَّد

وَعادوا...
لِتَرحَلَ بُصرى إلى الماءِ
قَبلَ انحِناءِ السَّماءِ عَلى شَمسِ آبٍ
وَذابوا...
عَلى دَكَّةِ المِلحِ
ذابوا...
عَلى صَهوةٍ مِن تُرابٍ
عَلى الرِّيحِ فَوقَ القِبابِ
عَلى شَهوةِ الرَّيبِ بَينَ ثَنايا كِتابْ
هُمُ
مَن أَعادوا انعِتاقَ الغَريزَةِ
مِن خَيبَةِ الغارِقينَ بِوَهمِ الرِّثاءِ
هُمُ
مَن أَعادوا انبِساطَ السَّماءِ
عَلى صَيفِ بُصرى بِغَيرِ اغتِرابٍ
هُمُ
مَن أَجاروا السَّفينَةَ
حينَ بُعِثنا مِنَ الرَّملِ مُستَعرَبينَ
وَمُستَغرَبينَ

وَحينَ أَعدنا الصَّلاةَ
وَعُدنا لنَقرأَ فاتِحَتينِ اثنَتينِ
وَمِمّا تَيَسَّرَ: فَتحًا حَزينًا
نَسينا اللِّثامَ عَلى الرُّوحِ سَهوًا
وَسَهوًا غَدَونا عَلى غَفلَةٍ غَبَشًا مِن جَرادٍ
وَآبَت إلى الصَّحوِ مِنَّا خُطًى أَوحَلَتْ في الغِيابْ

مُحَمَّدُ
يا حِنطَةَ التَّائِبينَ
أَمِنْ خَيبَةِ السّائِرينَ عَلى المِلحِ
كانوا يُعِدّونَ لِلفاتِحينَ الرِّياحَ الجَريحَةَ؟
إنّي رَأَيتُ خَديجَةَ تَهذي
عَلى تَلَّةٍ مِن بَقايا الرِّجالِ
هُمُ مَن تَبَقّى وِشاحًا لِغَزَّةَ
إنّي رَأَيتُ خُوارَ الذَّبيحِ
وَبَحرًا مِنَ اللَّحمِ خَلفَ الظِّلالِ
وَمَوتًا يَئِنُّ عَلى حَسرَةِ التّائِهينَ الَّذينَ
مَضَوا يَلبَسونَ عَلى الرُّوحِ وَهمًا لِأَشلاءَ لَيسَت لَهَمْ
مُحَمَّدُ
ماذا تَبَقَّى مِنَ الغَيمِ فَوقَ خَرائِبِ بُصرى؟
وَماذا تَبَقَّى لِمِصرَ مِنَ الماءِ بَعدَ غَسيلِ الذَّبيحِ؟
وَماذا تَبَقَّى لِيَثرِبَ كَي تَستَريحَ عَلى ساعِدٍ

نَبَويٍّ مِنَ الرِّيحِ؟
ماذا تَبَقَّى مِنَ الحُلمِ غَيرُ نَزيفٍ لِدِجلَةَ؟
ماذا تَبَقَّى لَنا غَيرُ وَهمِ الطَّهارَةِ في لُجَّةِ
الإحتِلامِ عَلى عَرشِ عُشبٍ ذَوى؟
كُلَّما أَمطَرَتْ غَيمَةُ التُّوتِ آخِرَ ماءٍ لَها
أَنبَتَتْ عَورَةُ الصّاغِرينَ غُبارًا
وَمادَت بيَ الأَرضُ
كَيفَ يَجوبُ المُلوكُ الشَّوارِعَ دونَ دِثارٍ
وَما مِن صَغيرٍ وَلَو كانَ حَتّى ضَريرًا
يَرى بالغَريزَةِ ما لا نَرى
أَو يَرى ما نَرى وَيَصيحُ:
كَأَنَّا نَسَينا الكَلامَ
وَمِثلَ المُلوكِ رَجَعنا إِلينا بِغَيرِ ثِيابْ

مُحَمَّدُ
يا كَسرَةَ الخُبزِ في أَلفِ كَفٍّ
كَبُرنا كَثيرًا
وَصارَ احتِمالُ القِيامَةِ أَكبَرَ
وَالجَبرُ صارَ اختِصارَ الدَّليلِ عَلى غَيبَةِ البَسطِ
أَو في مَقامِ الرَّحيلِ الأَخيرِ
كَبُرنا مُحَمَّدُ
وَالصَّبرُ صارَ احتِلامَ الغُرابِ عَلى شَيبِ أُنثى

تَهُزُّ النَّخيلَ إذا جاءَها في العَراءِ المَخاضُ
وَتَأتي لَنا كُلَّ عامٍ...
بِأَعمى

كَبُرنا مُحَمَّدُ
وَالسِّلمُ صارَ انكِفاءَ القَتيلِ عَلى جُثَّةٍ
كُلَّما أَشرَعَ الذِّئبُ نابَ السَّلامِ
جَنَحنا إليهِ
وَتُبنا عَنِ الدَّمعِ كَي لا نَكونَ انكِسارَ الرُّؤى
– حِكمَةَ اللهِ – في الكَونِ
بَينَ الظِّباءِ وَبَينَ الذِّئابْ

مِنَ الماءِ جاؤوا عَلى الخَيلِ رِتقًا
وَجِئنا حُواةً عَلى الخَيطِ نَمشي
مِنَ المَوتِ عادوا انفِجارًا وَعِتقًا
وَعُدنا نُقوشًا عَلى صَدرِ نَعشِ
مِنَ الوَقتِ عادوا عَلى الوَقتِ وَقفًا
إلى الصَّيفِ في صُفرَةِ الإمتِلاءِ
وَعُدنا اشتِهاءً
تُرى كَم سَماءٍ خَلَعنا عَلَينا
لِنَستُرَ فينا السَّماءَ الأَخيرَةَ؟
كَم تَوبَةٍ في الفَراغِ ذَرَفنا

لِنَكسرَ غَيبَ احتِمالاتِ زَهوِ المَدينَةِ؟
إنّي رَأَيتُ خَديجَةَ تَهذي
وَجِسرًا صِراطًا
وَلَو تاهَ آدَمُ ما كانَت الأَرضُ
غَيرَ انبِساطِ الصِّراطِ عَلى بابِ غَزَّةَ
لَو أَنَّ موسى أَناخَ العَصا مَنذُ سَبعٍ وَعِشرينَ
فاتِحَةً في الكِتابِ
لَمالَتْ عَلى وِترِها الأَرضُ شهدًا
وَتُبنا
مِنَ الصَّيفِ، مِنّا
مِنَ التِّيهِ فينا
خُرافَةِ عِشقِ الحَمامِ لِزَيتونَةٍ
كُلَّما هَبَّ فينا رِثاءٌ
وَمالَت عَلينا سُقوفُ المَدينَةِ
تِهنا
وَعُدنا نُحَمِّلُ لِلغائِبينَ السَّلامَ
وَلَو عُدتَ فينا لَعُدتَ غَريبًا
بِلا عَرشِ كِسرى
وَتاجِ هِرَقْلَ
بِلا نَفحَةِ الحُزنِ حينَ أَضاءَتْ
لِخَطوِكَ مَكَّةُ دَربَ الرَّحيلِ
خَرابٌ هي الأَرضُ بَعدَ انكِسارِ الخَيالِ

عَلى خَيبَةِ الرُّوحِ فَوقَ الذُّبالِ
خَرابٌ
وَما عادَ دَربُ المَدينَةِ يُغري بِغَيرِ السُّؤالِ
كَتُفّاحَةٍ أُشرِعَتْ للضَّلالِ
فَكَيفَ سَتُرفَعُ أَقلامُنا
وَيَجِفُّ الكِتابُ الَّذي خُطَّ فينا دَمًا
– مُنذُ تِهنا
فُرادى
فُرادى –
عَلى صَفحَةِ النِّيلِ
أَوَّلِ حَبلِ السَّرابِ الَّذي سالَ منَّا...
بَعيدًا
بَعيدًا
وَراءَ حِجابْ

الثقافة بالمَجَّان
سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها
Ath-Thaqafa bil Majjan
Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

ANASTU DARAN
آنَستُ دارًا

Mars 2010
© ***Tous droits réservés* – All rights reserved – *Todos los derechos reservados*** - ألحقوقُ مَحفوظة
Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org